متسابقات المرايا

سمر محمد حسين

التحدي بينهن لم يكن تقليديًا، وبعدما ماطل الانتظار وأخذ منهن نصيب الأسد لم تأتِ الغَرِيمة كما توقعت واستعدت كلا منهن، بل أتت الصديقة، وكانت الصدمة. صدمة لم تدركها الكثيرات، وعندما سألوا إحداهن عن ماهية الصداقة أقرت " الصداقة بيننا بدأت منذ حَبْوَتِي الأولي "، الغريب في الأمر أن الإقرار وثق بالإجماع وتم حسم النتائج بسرعة غير مذكورة، أما عن الدور فقد توقف على الشجاعة، من منهن تستطيع المواجهة،

_" من تستطيع؟ "

نطقها ويليام منظم المسابقة بمرح غير مرحب به، وعندما ساد الصمت لوقت توقفت من أجله عدسات التصوير كرر:

_" من تستطيع؟ "

دورة سريعة مرحة أعلى المِنصة..

_" من تستطيع خوض تحدي المرآة؟ "

ارتفعت يد إحداهن في تردد، فلم يمهلها ويليام الفرصة، وسرعان ما أشار عليها مهللاً:

_" تقدمت واحدة.. تقدمت واحدة.. هيا يا جنس حواء.. أين شجاعتكن!"

توقف ويليام كما توقفت الموسيقى الصاخبة فيما بعد بإشارة من سبابته، صمت ثقيل مفعم بانفعالات شتى كاد أن يفرض سطوة عليهم، لكن ويليام تداركه بإشارة أخرى من سبابته ثم إبهامه، إشارة

إلى فتاتين متطابقين شكلاً وموضوعاً، تصفيق حار... موسيقى تدفع الحماس دفعًا داخل الأوردة... وها قد بدأ التحدي:

_" قبل كل شيء ما أسمائكن؟"

- جين جاكوب

- روز دنسون

- لاري دنسون

دنا ويليام بوجهه منهما.. مع إبقاء المِكْروفون في محله.. فما اكتشفه يُعد أحد أسرار الدولة من الجهة الحربية.. ثم همس متسائلاً:

_" شقيقتان؟"

_" نعم.. "

أجابت إحداهما بهمس متقطع يناسب تورد وجنتيها، ليس خجلاً كما يعرف عند البعض بل المضمون الأول.. " خذي "

دار ويليام برأسه دورة كاملة، فابتعد الثلاث فتيات ظنًا منهن أنه سيقوم الآن باستعراض عضلاته كما يفعل أثناء سيره في الممرات العامة... ومع انحناءه المفاجئ، أضحى ظنهن يقين، ثوان تحصى على أصابع اليد وارتفع صوت ويليام الجهوري مع المحافظة على انحناءه

" هيا يا فتيات هيا... المرآة تنتظر "

****

سقراط يقول: " أعرف نفسك "

المرآة تقول: " تعرف على نفسك من خلالي"

أما عن ويليام فقد قال:

_" عدنا من الفاصل وعلينا تعريف ماهية التحدي، ستقف كلٍ من جين وروز ولاري، أمام المرآة لمدة لا تقل عن الخمس عشرة دقيقة، وقت مخيف أليس كذلك؟ لكنه سينتهي لا محالة ووقتها سنعرف من منهن خضعت للمرآة "

بدون مقدمات تسائل:

_" جاهزات "

وبدون إجابات أيضًا تابع:

_" هيا "

****

لم يشأ ويليام ترتيبهن، كما طُلب منه بل ترك لهن الفرصة وهو على اقتناع أن الاختيار ما هو إلا انعكاس داخلي. تقدمت روز من مرآة دائرية ذات أطراف حادة، تزهق من تراوده فكرة الاقتراب.

وجين من أخرى مربعة ذات إطار أســـود لامع عكس لون عيناها الزمردي.

أما عن لاري فكانت مرآتها تعادلها طولاً، وتميزت عن الباقين بإطارها الفضي المريح للعين

_" حســـنا ســـيبدأ العد التنازلي الآن، وغير مطلوب منكن ســـوى التركيز، هيا يا بنات حواء أروني قوتكن"

ومع ظهور لائحة العداد، بدأ ويليام مشاركة العضوات في العد:

_" خمس .. أربع .. ثلاث .. اثنان .. واحد"

دقت ســـاعة الصـــفر، والتزمت كلٍ منهن مرآتها، يبدوا الأمر مثير للدهشة عند البعض

فخمس عشرة دقيقة وقت لا يُســتهان به أبداً حتى وإن اســتغرقت إحداهن ذات مرة وقت مضاعف كي تضع المساحيق المكثفة، لكن لحظة واحدة أين موقع المثل الشَهير " انظر إلى يدك الموضوعة في الماء البارد قبل أن تشتكي " من الإعراب، وهذا ما خطر ببال الجميع بعد أن خيم الصمت على متسابقات المرآة.

بالطبع لا يمكننا اقتحام غرف العقل، لكن الأكيد في الأمر أن العين لا تُخطئ.

وعن عين جين فقد تحولت الزمردتين إلى ســـحابتين عاصـــفتين يهددان بقَلب العالم رأسًـــا على عقب، والعقل توقف عند نقطة واحدة، وإن بحثنا خلفه فســـنجده لم يتحرك من وقتها ولو قيد أنملة، يوم صرخت بكل ما تملكه من كبرياء جريح:

-" لقد انتهت حياتي معك منذ أن أصبحت قعيد يا أندرو، حتى الآن لا أعلم.. لا أعلم لمـاذا بقيـتُ عليـك بعـد أن انتقلـت من بيـت صديقتي إلى المشفى مصابًا، لأن زوجها ببساطة كشف خداعكما له ولي"

كافأت نفسها بلحظات من الصمت كي تتلذذ بما يعانيه وقد ارتسم باحتراف على وجهه الهزيل وقبل الشـــفاء أو التغلب على الأمر وجهت إليه ضربة آخرى:

_" لقد أتيت.. أتيت بعد كل شيء وتحملت عبئك، أعمل بوظيفتين لا يناسبان شاهدتي، أتحمل ذل هذا ونظرات ذاك وأخرهم لمسات تحرق جسـدي حرقًا... ولمن! لك أنت، أدفع نصـف ما أكسـبه من عرق جبيني لطبيبك والنصف الآخر لمتطلباتك التي لا تنتهي"

صـكت على أسـنانها حتى كادت أن تحطمهم، تخرج ما بداخلها من حقد تجلى في نبرتها:

_" والآن لا يوجد لدك ســوى والدتك أولي بك، لقد حان دوري.. حان دوري يا اندور .. عليَّ النظر إلى نفسيـــ، إلى انوثتي التي دفنتها بنفسي منذ عامين"

اقتربت خطوتين متمهلتين متعمدة إظهار ما دفنته، وحينما توقفت همست بتشفي:

_" وسأخبرك بوقاحة... لقد وجدت من يقدرها "

وبإشارة خفيفة من سبابتها:

_" سيدوم كرمي لثلاث ساعات فقط، عليك استعجال والدتك "

ثلاث سـاعات وكان هاتفها يعلن عن اتصـال لحوح، تجاهلته عمدًا، فتلقت رســالة: "لقد توفي أندور في حادث مريع وعليك المجيء للتعرف عليه، أتمنى لكِ السعادة الآن. صديقتك جوليا"

بوقتها أجابت على سؤال تكرر بالعامين الماضين كثير:

_" لماذا بقيتُ عليه "

بقيت لأنها أحبته بكل ما تعنيه الكلمة، بل سـامحته وأعطته عذرًا متداولاً " الإهمال " لكنها ببسـاطة كانت تماطل الاسـتنزاف وها هو انتصر

****

وعن عين روز فقـد تحول الجمود فيهمـا بعـد دقيقـة ثم اثنين إلى فوهَتين تنبعث منهما جمرات الندم، ندم مهما طال لن يشفع.

وفي المرآة، ظهرت فتـاة لم يتجـاوز عمرهـا الثلاثـة أعوام تركض متشبثة ببالون أزرق ضخم يتماشى مع رابطة الشعر خاصتها، لكنها توقفـت.. توقفـت حينمـا لمحـت توأمهـا تلهو بمجموعـة من البالونات، وعن شـمالها يقف والدهما بكاميرا التصـوير خاصـته يلتقط لها عدد لا حصرـ له من الصـور، لمعت عيناها بمكر شـديد فـالفرحـة لم تكتمـل وهـذا مـا تحرص عليـه عـادة. ولكنهـا انتظرت خشـية من العقاب وقع مرات ومرات، انتظرت خلف بوابة المنزل تراقب ما يحدث بملل بدأ ينتابها مؤخرًا، وحينما خرجت والدتهما معلنة اقتراب وقت وجبة الغداء وضرورة اجتماعهم حول المائدة، ابتسمت بفرحة اكتملت وهي تفرغ البالونات بأبشع الصور الممكنة، بوقتها تعلمت أن السعادة لا تأتِ بل تُقتنص وهل يوجد أفضل من شـقيقتها؟! حتى أتت لحظة النهاية... لحظة وجودها في فراش شـقيقتها بجوار زوج خَضـع لشـيطانه... ذهب مفعول الكحول اللعين مع أول شـهقة صـدرت عن توأمها، وحينما سـقطت أمامهما فاقدة الوعي علمت أن الطعنة تلك المرة جرحها لن يُشفى، فالأمر لا

يقتصر على بالونات استطاع والدهما جلب غيرهم في دقائق، بل هو بمثابة صـفعة لا تعلم من منهما تلقتها، بدأت حياة وانتهت أخرى، الأولى اقتنصت السعادة والثانية تعايشت مع الندم..

****

أما عن عين لاري فقد لمعتا ببريق ليس له معنى، تارة تبتسم لنفسها بهدوء مرح وقد وجدت السـعادة أخيرًا مع رجل تُضرب من أجله الأمثال. قصـة حب ولدت في طائرة متجهة إلى مدريد لقضـاء فترة نقاهة نصحتها بها صديقة والدتها، بعد أن تعاقبت جلسات التعافي على رأسـها بلا رادع، انجرفت وراء الفكرة مسـتمتعة بما سـتناله من تعافي متجاهله حقيقية مأسـاوية " فوبيا إقلاع الطائرة " حاولت في البداية تفعيل عنصر اللامبالاة، وربما تذكرت كلمات طبيبتها وعملت عليها لكن تأتِ تعليمات ربط الحزام بما لا يشـتهيه رعبها. صراخ متواصل أدمى حبالها الصوتية، ومحاولات هرب لم تفلح أمام سـطوة رجل أبصرته بوضـوح رغم تجمع غلالة الدموع أمام عينين غلبهما المخدر، وعند تكرار اللقاء صدفة تحدثت سبابتها بتحذير:

_" ابتعد عن وجهي يا طبيب البهائم"

_"هل ابتعد؟"

لا لم يبتعد بل اقترب.. اقترب بهدوء زلزل كيانها بأكمله، وفيما بعد أضحت من أنصار مقولة "جسـدين والروح واحدة " خالفت لاري أهم شروط المسـابقة، بالنظر إلى توأمها الواقف على بُعد خمس خطوات.. فقط خمس خطوات، من كان يُصـدق أن هذا القدر

البخس قادر على فصل روحين أتوا إلى هذا العالم في صرخة واحدة.
تنهدت لاري بتعب ومن ثم قالت في ضيق:

_" ليت الحب دافعك "

****

" خمس.. أربع.. ثلاث.. اثنان.. واحد "

_انتهى الوقت

وابتعدت كلٍ منهن عن مرآتها، شـــتان بين عبارة تتكرر بالمقالات، بالكتب وأحيانا بالروايات، يتداولها البشر ــ عامة في كثيرًا من المناسبات لكن!! من منا تدارك معناها؟! أم نترك الأمر للحظته كما تركه ويليام.

_" لن نريد معرفة من منكن خضـــعت للمرآة، لكن نريد خلاصـــة التجربة ووصف ما انعكس عليكن "

توترت ملامح جين لكنها تماسكت أمام عدسة الكاميرا:

_خلاصة تجربتي مع المرآة " الحب مسامحة "

وانخفضت رأس روز بخزي:

_خلاصـــة تجربتي مع المرآة " لا تبحث عن ســـعادتك في حياة الآخرين "

وكانت الابتسامة الأخيرة من حق لاري:

_خلاصة تجربتي مع المرآة " روحنا لم تنفصل، فقد أتينا إلى الحياة معا وسنرحل معا، لكن وقت المواجهة لم يُحين بعد "

أومأ ويليام رأســه ثلاث مرات، متفهماً، حائرًا، معجبًا، ثم التفت إلى العضوات ينقل لهن ما انتقل إليه عبر الموجات:

_" انتهت حلقة اليوم على خير، وما عليكن ســوى انتظار تحدي آخر "

تمت بحمد الله